السنة الخامسة والتسعون وثلاث مئة

فيها زادت دجلةُ زيادةً لم تُعهد، بحيث كان الماء على رؤوس النخل، وهرب الناس في السفن إلى الجانب الغربي، وأقام الماءُ عشرين يوماً فأهلكَ الحرثَ والنَّسلَ.

وفيها وصل عميد الجيوش إلى الأهواز، فأقام بها ثلاثة أشهر ينتظر بهاءَ الدولة، حتى قدم فالتقاه على فرسخ من قنطرة أَرْبَق، في نفرٍ قليل من أصحابه، ودخل بهاءُ الدولة الأهواز في ربيع الأول، وأمر عميد الجيوش بقصد البَطيحَة وأخْذِها من ابن واصل، فسار العميد إلى واسط، وجمع السفن والزبازب، وانحدر إلى الصَّليق، وكان ابنُ واصل قد كاتبه ليتوسَّط الحال بينه وبين بهاء الدولة، وكان خديعةً، فبينا هو كذلك إذ قال قائل: قد أقبل ابن واصل، وقد وصل إلى الهَور وهو خارجٌ منه.

وقد كان العميدُ سدَّ الأنهار وما أبقى إلا مكاناً واحداً، فجاءته رسالةُ ابن واصل يقول: ما أحوجتُكَ إلى تكلُّفِ القصد لي، وقد جئتك، والأَولى أن تأخذ لنفسك وترجع إلى واسط، فإنني أخذت هذا البلد بالسيف وما أرجع عنه، وكان عميد الجيوش قد فرَّق الدَّيلم في البلد، ولم يبْقَ عنده إلا القليل، فإلى أن يجتمعوا صعد ابن واصل وأصحابه من السفن، وصدموا أوائل عسكر عميد الجيوش، فكانت الهزيمة، وانهزم عميد الجيوش، وغرق معظم أصحابه، وكان في خيمته ثلاثون ألف دينار عيناً ومئةٌ وخمسون ألف درهم، فدفنها خازنُه في الخيمة، ولم يعلم بها أحد، واستأمن من الدَّيلم قطعةٌ كبيرةٌ، وعاد عميد الجيوش إلى واسط على أسوأ حال، وعاد ابن واصل إلى البصرة، وأعلم أبو عبد الله الخازن عميدَ الجيوش أنه دفن المال، فقوي أملُه، وبعث مَنْ أحضره.

وفيها توفِّي أبو الفضل محمد بن القاهر بالله عن نيِّفٍ وثمانين أو سبعين سنة، وكان محتجباً عن الناس.

وفي رجب انحدر مُهذَّب الدولة من بغداد إلى واسط، ورجع إلى البَطيحَة، وكان عميدُ الجيوش قد نُقِلَ إليه أن مُهذَّب الدولة قد غلبك ببغداد على أن يملك الحضرة،

فقال له بعض أصحابه: هذا بعيدٌ؛ فإنَّ مُهذِّب الدولة ليس بديلميٍّ فتميلُ الدَّيلم إليه، وليس له مالٌ فتميلُ غيرُهم إليه، وهذه البَطيحَة خارجةٌ عنكم، وأهلها يريدون مُهذِّب الدولة، فسَيِّرْه إليها، فإن استقام أمرُه ظهر عند الناس أنكم قضيتم حقَّه ونصرتموه على عدوه لمَّا التجأ إليكم، وإن كانت الأُخرى استرحْتُم منه. فأرسل وراء مهذِّبِ الدولة، فقدِمَ واسطاً، فجهَّزه بالزَّبازب والدَّيلمِ وغيرِهم، وانحدر الناس، فتلقَّاه أهلُ البَطيحَة، وفرحوا به، وانتظم أمرُه.

وفيها خلَعَ القادرُ على القاضي أبي عبد الله الجزري الحسين بن هارون الضبِّي، وقرَّره على عمله.

وفيها كبس أبو العباس ابن واصل أوائلَ عسكر بهاء الدولة، فظفرَ عليهم، وعاد بهاءُ الدولة إلى قنطرة أَرْبَق، ثم راسله ابن واصل، وكان قد اجتمع عنده بالبصرة أربعة آلاف من أعيان الدَّيلم، وعنده جَراءةٌ وإقدام، وحدَّثَتْه نفسُه بطلب الملك، وشجَّعه عليه مَنْ كان عنده من الدَّيلم وممَّن أبعدَه عميدُ الجيوش عن بهاء الدولة، ولقي أصحابَ بهاءِ الدولة عدة دفعات، وظهر عليهم، وعاد بهاء الدولة إلى قنطرة أَرْبَق على عزم الرجوع إلى فارس، ودخل ابن واصل الأهواز، ونزل دار المملكة، واستولى على ما كان فيها، ثم فكَّر في العاقبة، ورأى أصحابَ بهاء الدولة يريدون قصده من كل جانب، فكاتب بهاءَ الدولة وقال: أنا عبدك، وقد تقرَّبتُ إليكَ مراراً وأبعدتَني، وسمعتَ فيَّ أقوال الوُشاة والأعادي، لو اصطنعتني لفتحتُ الدنيا بين يديك ونفعتُكَ. فأجابه بهاء الدولة إلى ما أراد، ووقعت الأيمان بينهما، وشهد القضاة والأشراف، وبعث إليه الخِلَعَ النفيسةَ، وخوطب بما يُخاطَب به مُهذِّبُ الدولة، وعاد إلى البصرة بعد أن أخذ ما كان في دِجلة الأهواز من السفن والزبازب، وما وجد في دار بهاء الدولة من الآلات وغيرها وأموال الأهواز.

ذكر طرف من أخبار ابن واصل:

واسمه أحمد بن الحسن بن واصل، وكنيته أبو العباس، ولم يكن من بيت الإمرة وإنما كان جِهْبذاً، انتقلت به الأحوال، وخدم مُهذِّب الدولة بالبَطيحَة، وخدم بعبادان،

وكان مهذِّب الدولة يبعثه برسائل إلى بهاء الدولة ـ وبهاء الدولة بفارس والبصرة ـ ولشكرستان، فقصده ابن واصل، وطمع في البصرة، واجتمع إليه الدَّيلم، فأخرجه منها، وحكم عليها، وكاتب بهاءَ الدولة يضمِّنه البصرةَ على مالٍ سمَّاه، فأجابه، وبعث بالخِلَع السلطانية والطوقِ والسِّوارين، وقصد شكرستان باتفاقٍ من مُهذِّب الدولة، وقاتله وظهر عليه، وأخذ أمواله وذخائره، فتقوَّى بها، وبعث إليه بهاءُ الدولة يطلب المالَ الذي قرَّره عليه، فاعتذر، وقال: كنتُ عددتُه، فلما قُصِدَ بي شكرستان احتجتُ إلى إنفاقه. ثم أرسل ابن واصل إلى مُهذِّب الدولة يطلب المال الذي أنفقه ـ وكان قصدُه البَطيحَة ـ فأجابه مُهذِّبُ الدولة بجوابٍ غليظ، ثم جمع ابنُ واصل المالَ وبعث به إلى بهاء الدولة، فأعجبه، وسأله أن يأذن له في أخذ البَطيحَة، فأذِنَ له، فسار وأخذها، وكان بهاء الدولة قد تغيَّر على مُهذِّب الدولة، ثم شقَّ عليه أخذُ البَطيحَة، فجاء بنفسه من الأهواز، واتَّفقا على الصلح، ثم فسد الحال بينهما، وعاد إلى الأهواز، والتقى بعسكر بهاء الدولة، فهزموه وعاد إلى البصرة.

[وفيها] حجَّ بالناس جعفر بن شعيب السلَّار، ولَحِقَهم عطشٌ عظيمٌ، فهلك خلقٌ كثير، وفات بعضَهم الوقفة[1].

وفيها خرج أبو رِكوة على الحاكم بمصر، وتعاظم أمرُه ـ وسنذكره إن شاء الله تعالى ـ وعزم الحاكم على الخروج إلى الشام، وبرز إلى بَلْبيس بالعساكر والأموال، فأُشير عليه بالمُقام، وقيل له: تقلُّ الحُرمة بالخروج. فعاد.

وفيها توفِّي

أحمد بن محمد

البشري، الصوفي، رحل وطلب الحديث، وجاور بمكة مدةً، وصار شيخ الحرم، وخرج إلى مصر، فتوفي بين مصر ومكة، وكان صالحاً ثقةً.

(١) هذا الخبر في المنتظم ١٥/ ٤٦ .